

دور مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني في بناء الذاكرة الوطنية The role of the Palestinian National Archives Center in building the national memory

حمزة الربي^{1*}، كمال بوربيعة^{2*}

¹ جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)

² جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)

تاريخ القبول : 22 / 11 / 2022

تاريخ الاستلام: 21 / 10 / 2022

Abstract

The study deals the Palestinian archive sector, and sheds light on the important historical period that marked the formation of the state of institutions represented by the Palestine Liberation Organization, which had the most prominent role in documenting not only its revolutionary activity, but also collecting and preserving everything related to Palestine up to the most important time period in The archive sector and the most organized, which is the creation of the Palestinian National Archives Center as a custodian body for the Palestinian archives sector after the institutions of the National Authority were formed according to the outputs of the 1993 Oslo Accords, and its role in preserving the output of the activities of institutions and all documents related to Palestine and its history in order to be used in historical writing, establishing the official narrative and building national memory Palestinian.

Keywords

Palestinian National Archives Center; archives; national memory

المستخلص

تتناول هذه الدراسة قطاع الأرشيف الفلسطيني، وتسلط الضوء على فترة تاريخية هامة؛ وهي الفترة التي رسمت معالم تشكيل دولة المؤسسات ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية التي كان لها الدور الأبرز في توثيق، وجمع وحفظ كل ما يتعلق بفلسطين ومكانتها الثقافية والتاريخية، فكان الاهتمام بقطاع الأرشيف في مقدم هذه العملية التوثيقية الرائدة، حيث تم استحداث "مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني" كهيئة وصية على قطاع الأرشيف الفلسطيني بعدما تشكلت مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية بعد اتفاق أوسلو عام 1993م، وفي ظل ذلك تم حفظ ناتج نشاط الإدارات والمؤسسات وكل الوثائق الخاصة بفلسطين وتاريخها قصد استخدامها في الكتابة التاريخية وتنشيط الرواية الرسمية وبناء الذاكرة الوطنية الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية

مركز الأرشيف الفلسطيني؛ الأرشيف؛ الذاكرة الوطنية.

المقدمة

أنشئت الهيئات التوثيقية لجمع وحفظ الوثائق الأرشيفية المنتجة أو المستلمة من قبل الإدارات والمؤسسات عبر مختلف الأزمنة، فالوثائق والأرشيف ما هي إلا شواهد وحقائق تاريخية دونت فيها مختلف العلاقات الداخلية التي تنظم المجتمع والدولة، والخارجية التي ترسم حدود وعلاقات الدول ببعضها وتحدد سياستها، فالهيئات التوثيقية هي الجهة التي أوكلت إليها مهمة جمع وحفظ وحماية هذه الموروثات بصورة تلقائية وإنتاجها من طرف الإدارات، وهي الجهة القائمة على صون هذه الشواهد الملموسة الدالة على وجود المجتمع الحضري وكيان الدولة وشرعيتها.

لقد اكتسبت الهيئات التوثيقية أهمية بالغة لدى الباحثين بحيث نجد إقبالاً عليها من طرف الباحثين عن الحقائق التاريخية، ودراسة مختلف الأحداث التاريخية؛ لما تحتويه هذه الوثائق من معلومات هامة تساعد على فهم الوقائع التاريخية، ومن ثم فهم الحاضر وهو المطلوب في الدراسات التاريخية، فالأرشيف يعدّ مصدراً هاماً للمعلومات والمادة الأولية للكتابة التاريخية لما يتضمنه من أحداث تاريخية دونت بصورتها الحقيقية كما هي، دون الرجوع لفرضية التأويلات التي تسود السردية التاريخية المعهودة في الكتابات التاريخية، حيث تخضع هذه الكتابات -في كثير من الأحيان - للذاتية.

إنّ الدور الذي تلعبه مراكز الأرشيف اليوم يمكن تلخيصه في نقاط ثلاث أساسية وهي: **الجمع ، الحفظ وإتاحة الوصول للمعلومات**، فالأرشيف؛ هو المكان الذي تحفظ فيه الأرصدة وتكوينها، وبناء الذاكرة الوطنية باعتبارها مرجعاً للطبقة السياسية وصناع القرار ومصدراً لاستقاء المعلومات و اعداد القرارات . كما تعد مادة علمية هامة للباحثين والدراسين من مختلف التخصصات من أجل إجراء البحوث والدراسات الموضوعية الخاضعة للمنهج العلمي السليم. يتميز الأرشيف الفلسطيني بالثراء والزخم نتيجة لتعاقب الكثير من الحقبات والمراحل التاريخية التي انعكست بدورها على وفرة الوثائق والأرشيف في فلسطين، ومن هنا يسعى مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني بدوره -كهيئة وصية على الأرشيف الوطني الفلسطيني - إلى جمعه، حفظه، حمايته وتأمين محتوياته ومضامينه قصد الوصول إلى بناء ذاكرة وطنية للشعب الفلسطيني، ومن خلال ما سبق يمكن تحديد الإشكالية ؛ وذلك بالتساؤل: **ما هو الدور الذي يلعبه مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني في بناء الذاكرة الوطنية الفلسطينية؟**

-هل أسهم مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني بما اتخذته من التدابير ومجهودات - في بناء الذاكرة الوطنية الفلسطينية؟

استخدم الباحث في هذه الدراسة **المنهج الوصفي** لأنّه المنهج الأنسب للوصول إلى نتائج الدراسة والإجابة عن التساؤلات المطروحة ، مستخدماً في ذلك كلّ الوثائق المقدمة من طرف المدير العام لمركز الأرشيف الوطني الفلسطيني الأستاذ فواز سلامة.

1. تحديد المفاهيم

الأرشيف الوطني

هو المؤسسة التي تتولى حفظ أرشيفات الهياكل والمؤسسات المركزية للدولة في عدد كبير من بلدان العالم، حيث تلعب دور الأرشيف -في معظم دول العالم - دوراً متشابهاً إلى حد بعيد وإن وجدت بعض الفروقات أو الاختلافات في الدور أو التسميات فإن ذلك يرجع إلى الظروف السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والتاريخية السائدة في هذه الدولة أو تلك.

يُعرف الأرشيف الوطني الفلسطيني على أنه ذاكرة الأمة باعتباره المكان الحصين الذي تحفظ فيه كافة الوثائق والمستندات والسجلات بصورة دائمة، ويعتبر مصدراً خاصاً للمعلومات، ليس فقط للدارسين والباحثين وإنما لأجهزة ودوائر ووزارات الدولة بوصفه ذاكرتها ومرجعها الأساسي.¹

وعليه ، فإنّ الأرشيف الوطني الفلسطيني هو تلك الهيئة التي تُعنى بحفظ الوثائق والمستندات والسجلات الإدارية منها والتاريخية بصورة دائمة؛ بهدف المحافظة على النتاج الفكري والنشاط الإنساني ليصبح مصدراً خاصاً للمعلومات، كما يتم استخدامه من قبل الباحثين والدارسين ومن دوائر وأجهزة الدولة على اعتبار أنه مرجعها الأساسي. وبناءً على ما سبق، فإنّ رسالة الأرشيف الوطني هي وضع الأسس الإدارية والتنظيمية والفنية واللوائح والإجراءات التي تؤدي إلى تنظيم التصرف بالوثائق المنجزة في مؤسسات ودوائر وهيئات الدولة الرسمية، وجمع وحفظ وصيانة الوثائق والمستندات والسجلات ذات القيمة الفكرية والقانونية والتاريخية وترتيبها وتصنيفها وإتاحتها للبحث والتداول، وكذا تطوير الإمكانيات والخبرات في هذا المجال والتأكد من تنفيذ اللوائح والتعليمات والإجراءات ذات العلاقة لتحقيق الفائدة المرجوة.²

الذاكرة الوطنية

يعتبر كتاب: "التاريخ والذاكرة" لمؤلفه جاك لوغوف من الدراسات القليلة التي تبحث في العلاقة بين التاريخ والذاكرة، ولاشك أنّ البحث في هذه العلاقة ليس سهلاً لما يحتويه مفهوم الذاكرة والتاريخ من ملاحظات ، فالرأي العام يتجه -خاصة في الدول التي تعيش تحت وطأة الايديولوجيات القومية - إلى الخلط بينهما، فالتاريخ يقترن بالذاكرة الوطنية، أما الذاكرة الوطنية فهي كلّ شيء، لا تقرّ بوجود الاختلاف والتمايز في المجتمع والثقافة. وتعتبر -حالياً - بعض الاتجاهات الأنثروبولوجية التاريخ "مجرد صورة مصطنعة للذاكرة" إذ تنظر إلى الذاكرة على أنّها أكثر "واقعية" وتنظر إلى التاريخ على أنّه ذاكرة "مشوهة".³

وفي المجتمعات الحديثة، ظهر مفهوم الذاكرة الوطنية بفعل بروز المذاهب القومية، ونشأة الدولة الوطنية الحديثة التي أسست المتاحف الوطنية وأقامت دور الأرشيف والمكتبات الوطنية،

وكرّست الاحتفال بالأحداث والشخصيات عبر إقامة الأعياد الوطنية والنصب التذكارية، فإنّ هذه المؤسسات تعتبر -عن حق - مواقع الذاكرة "**Lieux de la mémoire**" وتضفي مشروعية على الدولة والوطن، وتتنظر القوى الاجتماعية والسياسية للذاكرة الجمعية، على أنّها رهان هام تسعى إلى كسبه عبر الصراعات من أجل السلطة والنفوذ.⁴

2. نبذة تاريخية لقطاع الأرشفة الفلسطيني

عرفت فلسطين في حقبة وأزمة كثيرة الكثير من الدول والنظم السياسية والاجتماعية وهو يؤكد بشكل قطعي وجود الهيئات التي تكفلت بالتدوين الحضاري والتوثيق المدني إضافة إلى الهيئات التي تكفلت بجمع وحفظ نتاج ما أفرزته الهيئات المنتجة باختلاف مسمياتها ودرجة بساطتها أو تعقيدها من زمن لآخر، فتؤكد الوثائق الأرشفية التي في حوزة الأرشفة الوطني الفلسطيني، أو تلك الوثائق التي في طور استردادها واسترجاعها، إلى وجود وثائق تعود للفترة ما قبل الدولة المملوكية وما بعدها كالفترة العثمانية والانتداب البريطاني وما استحوذ عليه الكيان الصهيوني ما بعد عام 1948 و 1967.

أخذت الهيئات الفلسطينية على عاتقها تاريخياً بصورة رسمية أو فردية التكفل بالأرشفة الفلسطيني والوثائق المتعلقة بفلسطين، لكن أبرزها يعود إلى ما قامت به منظمة التحرير الفلسطينية عام 1963 في استحداث مؤسسة الدراسات الفلسطينية في مقرها في بيروت، تلاها عام 1965 استحداث مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت أيضاً، والذي استولى الكيان الصهيوني على محتوياته أثناء اجتياح بيروت عام 1982، كما تعتبر هذه المساهمات التي قامت بها منظمة التحرير الفلسطينية أحد أهم المساهمات التي جمعت كلّ ما له علاقة بفلسطين ووثائقها داخلياً وخارجياً ودورها في تأريخ الصراع والكتابة التاريخية حيث أن احتفاظ منظمة التحرير بالأرشفة هو حقيقة يمكن تفسيرها بجملة من الحقائق التي أحاطت بالمنظمة في نشأتها.

فالتأسيس الرسمي لمنظمة التحرير كان في عام 1964 كمؤسسة تابعة لجامعة الدول العربية، لا كخلايا ثورية سرية، سمحت بمأسسة أنشطتها وإنشاء مركز أبحاث وأرشفة. كما أن تصور منظمة التحرير لأرشفتها وإيجادها إياه في وقت سابق على التثوير الجذري لمنظمة التحرير بقيادة عرفات بدءاً من 1969 هو واقع سمح بما ترتب على ذلك من تجاور غريب بين الثورة المسلحة ومؤسسة الأرشفة.⁵

وصولاً إلى تشكيل مؤسسات الدولة الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو⁶ 1993 بعد ما أوكلت إلى منظمة التحرير الفلسطينية مهمة تمثيل الشعب الفلسطيني عربياً ودولياً كممثل شرعي ووحيد، والتي أسفرت عن استحداث "مركز الأرشفة الوطني الفلسطيني" كهيئة رسمية وفق الرؤى الحديثة للدول تجاه الأرشفة.

1.2. المحيط القانوني والتشريعي للأرشفة الفلسطيني

*1 المؤلف المرسل: الاسم الكامل، (الاسم العائلي ثم الاسم الشخصي)، الإيميل:

تُعد أولى القرارات المتعلقة بإنشاء مركز الأرشيف الوطني ذلك القرار الصادر عن الرئيس الراحل ياسر عرفات عام 1994 والقاضي بإسناد دور القيام باستحداث مركز الأرشيف الوطني آنذاك إلى السيد **د. محمد بحيص عرامين** مدير عام الإعلام الخارجي بوزارة الإعلام الفلسطينية. تلى ذلك قرار لمجلس الوزراء الفلسطيني رقم (24/19 م.ق.أ.ق) لسنة 2004، والقاضي بإنشاء أرشيف وطني مهمته تجميع وتنظيم وصيانة وحفظ الوثائق الخاصة بالسلطة الوطنية الفلسطينية والشعب الفلسطيني⁷.

تبعه قرار إصدار قانون الأرشيف الوطني الفلسطيني لعام (2010)⁸ الذي يعتبر القانون العام لقطاع الأرشيف الفلسطيني حالياً والذي تمت المصادقة عليه من طرف رئاسة الوزراء بالنيابة عن الرئيس.

كما يعمل مركز الأرشيف الوطني بدعم هذه القوانين والتشريعات، بجملة من النصوص التنظيمية التفصيلية للقانون العام للقطاع الأرشيفي إضافة إلى إصدار المنشورات الخاصة التي تُحدّد الطرق التنفيذية للإدارات والمؤسسات للتعامل مع الأرشيف.

ومؤخراً تمّ إدماج مركز الأرشيف الفلسطيني والمكتبة الوطنية الفلسطينية كجسم واحد بهدف جمع وحفظ وحماية جميع الموروث الثقافي والوثائقي للشعب الفلسطيني، وتمّ إصدار مسودة قرار بقانون ينظم مهام ودور كلٍ منهما في انتظار المصادقة عليه والعمل به، لكن ولغاية تحرير هذه السطور يبقى القانون المنظم لقطاع الأرشيف الفلسطيني هو القانون السابق الذكر⁹.

3. لمحة عن مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني

كانت بداية نواة التفكير الحقيقية بضرورة إنشاء أرشيف وطني فلسطيني، أو إدارة للسجلات العامة لدولة فلسطين مع بداية تشكيل مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية أواخر العام 1994، حيث تمت مصادقة الرئيس الراحل ياسر عرفات على تشكيل لجنة تحضيرية بتاريخ 13 أيلول 1994، وهذا حسب ما أورده الموقع الإلكتروني للأرشيف الفلسطيني، فقد عملت اللجنة والتي ضمّت في عضويتها عدداً من المختصين في مجالات مختلفة برئاسة مدير عام الإعلام الخارجي بوزارة الإعلام الفلسطينية آنذاك **د. محمد بحيص عرامين**، وعلى مدار عام ونصف على إنجاز الخطط والمهام التي أنيطت باللجنة وفي مقدمتها المشروع التفصيلي الرئيس والذي أطلق عليه "**خطة التطوير الوطنية NDP**" وبمساعدة الخبير البريطاني مايكل روبن. حيث قُدّرت تكاليف تطبيق تلك الخطة بكافة مشمولاتها حوالي 14 مليون دولار.

وبتاريخ 11 أيار 1997م صدر قرار عن سيادة الرئيس الراحل ياسر عرفات يقضي بتفويض السيد **د. محمد بحيص عرامين** مدير عام الإعلام الخارجي بوزارة الإعلام الفلسطينية للعمل على استكمال التحضيرات والخطط اللازمة لإقامة الأرشيف الوطني وتنفيذ هذا المشروع السيادي بالمفهوم الحديث للدولة.¹⁰

3. 1. دور ومهام مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني

يتمثل دور مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني في مساعدة المؤسسات والهيئات والدوائر التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية في ضبط سجلاتها ومحفولاتها ووثائقها الإدارية (المنشأة في الدوائر والوزارات) والتاريخية (ذات العلاقة بتاريخ الوطن) في كافة المجالات من خلال تطبيق جملة من القوانين والتشريعات والإجراءات والعمليات الفنية الكفيلة بحفظ الوثائق وسهولة تداولها وترحيلها وحفظها بشكل دائم في الأرشيف الوطني.¹¹ ويتحدد دور ومهام مركز الأرشيف الوطني في ¹²:

- (1) جمع وحفظ وصيانة الوثائق التاريخية المتعلقة بحياة الشعب الفلسطيني، والوثائق بأنواعها الورقية والالكترونية والسجلات العامة المنشأة في الدوائر الحكومية وحفظها بصورة دائمة.
- (2) تصنيف وتبويب تلك الوثائق والسجلات العامة وإعداد الفهارس ووسائل البحث لتيسير الرجوع إليها.
- (3) تقديم المعونة الفنية في مجال الأرشيف للدوائر الحكومية ومساعدتها على إعداد برامج للتصرف بوثائقها والمصادقة على جداول فترات الاستباق.
- (4) متابعة تنفيذ القرارات والتعليمات الصادرة عن الوزير والمتعلقة بالعمل الوثائقي في كافة الدوائر الحكومية بما في ذلك الإجراءات الخاصة بالحفظ والصيانة والتقييم والفرز والإتلاف والترحيل.
- (5) تنظيم الاطلاع على المخزون الوثائقي للأرشيف الوطني وفقاً للتشريعات التي تنظم هذا العمل.
- (6) استعادة الوثائق والسجلات المتعلقة بفلسطين والموجودة في أرشيفات الهيئات والمنظمات والمؤسسات المحلية والإقليمية والدولية وتجميعها وحفظها بتنسيب من الوزير.
- (7) اقتناء وحفظ الوثائق الخاصة التي لها صلة بالمصلحة العامة عن طريق الشراء أو الهبة أو الوصية أو الايداع أو التحويل أو التبادل، أو تسجيلها لديها والعمل على صيانتها وترميمها إذا اقتضى الأمر بتنسيب من الوزير.
- (8) إعداد ونشر الدراسات والبحوث والممسوحات المتعلقة بمجال عملها.
- (9) التعاون والتنسيق مع الهيئات والمنظمات العاملة في مجال الأرشفة على المستويين الإقليمي والدولي، وتبادل الخبرات والوثائق والمهارات والمنح الدراسية في هذا المجال بتنسيب من الوزير.
- (10) تنظيم الندوات وورش العمل والمؤتمرات والبرامج التدريبية والمعارض الوثائقية، وتمثيل فلسطين رسمياً في المؤتمرات والندوات والأنشطة المحلية والإقليمية والدولية بعد تنسيب الوزير.
- (11) نشر الوعي الثقافي والتاريخي وتشجيع البحث العلمي.

4. مساهمات و مجهودات مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني لجمع وحفظ وبناء الذاكرة الوطنية

4. 1. تشخيص واقع العمل الارشيفي في قطاع الارشيف الفلسطيني

أجريت أولى الدراسات المسحية عام 1999 لفهم أكثر لبيئة العمل الإداري والمؤسستي في فلسطين وقد أظهرت حينها أنّ قطاع الأرشيف الفلسطيني بحاجة ماسة إلى التطوير والنّهوض ، بالإضافة إلى الحاجة لتوفير المتطلبات الأساسية المادية والفكرية والبشرية، وكذا الحاجة إلى رفع مستوى الوعي بأهمية الأرشيف لدى أصحاب القرار، ورفع كفاءة إدارة الوثائق الأرشيفية من خلال تدريب الكادر العامل في هذه الأقسام والمراكز للقيام بتنفيذ كافة العمليات الفنية والمادية والفكرية التي تحتاجها الوثائق والسجلات¹³.

وفي العام 2007 أجريت دراسة أخرى أكثر شمولية تمّت بإعداد وتنفيذ من مركز الأرشيف الوطني ودعم وإسناد من مشروع الحكومة الالكترونية (E-Government) والتي تقوم على تنفيذه وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات بدعم مالي من برنامج الأمم الإنمائي UNDP بعنوان: "واقع العمل الأرشيفي في مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية (دراسة مسحية)" والتي مكّنت من فهم أعمق لواقع الأرشيف في فلسطين في كلّ من المؤسسات والإدارات بمشاركة 114 مؤسسة وطنية فلسطينية في كلّ من الضفة الغربية وقطاع غزة.

4. 2. بلورة الاستراتيجية الوطنية تجاه الأرشيف الوطني الفلسطيني

اعتمدت الاستراتيجية الوطنية على دراسة تحليلية مسحية لواقع العمل الأرشيفي في مؤسسات وإدارات السلطة الوطنية الفلسطينية أجريت في العام 2007 بعنوان: "واقع العمل الأرشيفي في مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية دراسة مسحية-" والتي قام الأرشيف الوطني بتنفيذها، وبناء على النتائج والتوصيات التي انتهت إليها تحدّدت معالم الاستراتيجية الوطنية تجاه الأرشيف بالمحاور التالية كمكونات رئيسية للاستراتيجية الوطنية¹⁴:

- (1) **التوعية والإرشاد:** وذلك عن طريق رفع مستوى وعي المستفيدين بقيمة وأهمية الوثائق والأرشيف كمصدر هام للمعلومات وأداة من أدوات اتخاذ القرار والبحث العلمي.
- (2) **بناء القدرات:** ويتأتى ذلك عبر تطوير قدرات القوى العاملة في مجال التوثيق والأرشيف.
- (3) **تكنولوجيا المعلومات:** توفير الأساليب والتقنيات اللازمة للحفظ والصيانة والتصوير والإتاحة وأمن المعلومات.

4) المراحل الفنية للإجراءات الأرشيفية: عن طريق وضع إجراءات لعمليات الوصف والتحليل والتنظيم والفرز والتقييم والإتلاف والترحيل بالاعتماد على المواصفات والمعايير الدولية.

5) الأدلة والإجراءات: العمل على وضع وصياغة الأدلة الإجرائية واللوائح المطلوبة وفق المعايير الدولية المعتمدة لضمان حسن إدارة الوثائق والأرشيف.

6) الأبنية والإنشاءات: توفير ما يلزم من أبنية وإنشاءات ضرورية لإقامة المقر الدائم للأرشيف الوطني وفق مواصفات هندسية خاصة. والمواصفات الفنية والهندسية لأماكن حفظ الأرشيفات والوثائق سواء في الأرشيف الوطني، ودوائر وأقسام الأرشيف في مؤسسات الدولة.

3.4. وضع السياسات العامة للأرشيف الوطني الفلسطيني

يرتكز الأرشيف الوطني الفلسطيني في سياسته العامة على قضيتين أساسيتين تسيران بالتوازي وجنبا إلى جنب وهما¹⁵:

1) تطوير العمل الأرشيفي والنهوض بمقوماته وتوفير المستلزمات والمتطلبات للوصول به إلى أقصى فائدة مرجوة، وذلك من خلال توحيد أنظمة حفظ السجلات والوثائق وطرق تخزينها في وزارات وهيئات ودوائر الدولة، وتدريب العاملين في هذا المجال على تطبيق الأنظمة والإجراءات ورفع قدراتهم، ويستدعي ذلك إيجاد متخصصين في فروع هذا العلم عن طريق التدريب أثناء الخدمة وإيفاد البعض في بعثات دراسية خارج الوطن، ويشمل هذا المرتكز كذلك بث الوعي والمعرفة وضرورة الإمساك بأطراف الدائرة الإدارية والتنظيمية في إطار قانوني ومهني.

2) جمع وحفظ وتداول الوثائق والمستندات ذات العلاقة بتاريخ الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات، وبمختلف أنواعها، سواء من مصادرها الأولية مثل المؤسسات والمراكز المحلية والمقتنيات العائلية والفردية، أو من مصادرها الأجنبية والتي تتمثل في المجموعات والمقتنيات الوثائقية للدول التي كان لها علاقة بفلسطين على مرّ العصور. ويتطلب ذلك إقامة علاقات تعاون بين الأرشيف الوطني (ممثلاً لفلسطين) وأرشيفات الدول الأخرى من أجل استعادة الوثائق الفلسطينية، كما يتطلب ذلك وضع الخطط متوسطة المدى وطويلة المدى للحصول على وثائق فلسطين التاريخية سواء من داخل الوطن أو من خارجه.¹⁶

5. تحديات وصعوبات بناء الذاكرة الوطنية الفلسطينية

جعلت الظروف الاستثنائية التي عايشها الشعب الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال مهمة جمع الوثائق وتكوين الأرصدة مهمة ليست سهلة نتيجة للظروف الصعبة والسياسات التعسفية المتعمدة التي ينتهجها في سبيل إجهاد كل قطاعات الدولة الفلسطينية ومؤسساتها مهمة مركز

الارشيف الوطني مهمة مضاعفة ودور أكبر في وجه هذه الصعوبات والتي منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- حالة الشتات والتفكك نتيجة للحروب المتتالية التي عايشها الشعب الفلسطيني تكبد بها خسائر فادحة انعكس بدوره على الوثائق والأرصدة.
- السطو والنهب المتعمد والممنهج من طرف الاحتلال الصهيوني للوثائق الأرشيفية والأرصدة أينما وجدت خاصة تلك التي تمس مواضيع ترسيخ وجود الشعب الفلسطيني على أرضه التي سعى الاحتلال إلى الاستحواذ عليها وضمها إلى كيانه لتغيب الذاكرة الفلسطينية، من أجل إعادة كتابة وتشكيل وإنتاج تاريخ غريب عن فلسطين يخدم مصالحه ويعزز وجوده.
- تواجد الكثير من الوثائق والأرصدة الهامة خارج فلسطين في الدول العربية و الأجنبية الأمر الذي يعني بقاء الكثير من الأرصدة والمجموعات غير المكتملة التي لا تخدم مشروع بناء الذاكرة.
- حالة الوعي المتدنية بأهمية الارشيف الاداري والوثائق التاريخية لدى بعض فئات الشعب الفلسطيني وصناع القرار، وعدم توفير الدعم اللازم والمصادر المالية من طرف الطبقة السياسية وكذا اسناد القطاع بالقوانين والتشريعات التي تؤهل قطاع الارشيف للنهوض والتطوير.
- تدخل الصلاحيات بين العديد من الهيئات التي تحوز على وثائق وأرصدة هامة ووصاية مركز الارشيف الوطني على الوثائق والأرصدة المتعلقة بفلسطين، الامر الذي يستدعي إعادة النظر في القوانين والتشريعات.

6. تحليل وتفسير النتائج

بالرغم من الظروف الاستثنائية التي عانى منها الشعب الفلسطيني يظهر لنا مدى الاهتمام بالارشيف الفلسطيني مبكراً من طرف الكوادر السياسية التي تشكّلت كخلايا ثورية تحريرية سابقاً ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية بكافة فصائلها بحيث اهتمت بالنضال المسلح دون إغفال منها لتوثيق نشاطاتها ودعم النضال بمختلف أشكاله، والاهتمام بتبني مختلف الأساليب التي من شأنها التنظيم لما بعد مرحلة التحرر.

إن الظروف الاستثنائية تلك جعلت مركز الأرشيف الوطني الفلسطيني يواجه تلك التحديات والصعوبات بجملة من الخطوات التي تمكنه من بقاء صيرورة العمل في قطاع الأرشيف بعيدة كل البعد عن التأثيرات المحيطة واستكمال المجهودات بجملة من الخطوات الفعلية التي كان ابرزها ترقية الممارسات الأرشيفية وفق المعايير الدولية والمبادئ العلمية للأرشيف التي من شأنها توحيد الممارسة الأرشيفية داخل مؤسسات الدولة الفلسطينية وجعلها توافق السياسة العامة للأرشيف والخطة الاستراتيجية الوطنية من أجل تجنب أخطاء تكوين الأرصدة التي بدورها تنعكس على بناء الذاكرة الوطنية. اضافة الى تكوين العامل البشري بإرسال بعثات تكوينية في

الخارج لطاقم الأرشفة في بعض الدول منها سلطنة عمان (هيئة الوثائق والمحفوظات العمانية) ومصر (دار الوثائق القومية المصرية)، واندونيسيا، تدرب الطاقم على الإجراءات الفنية للوثائق كالفرز والتصنيف والفهرسة، إضافة إلى الرقمنة وكل ما يخص الأرشفة.¹⁷

يسعى مركز الارشيف الوطني الفلسطيني الى استعادة الوثائق والارصدة المنهوبة بالرغم من الظروف الصعبة والعوائق التي تواجهه في ذلك والتي قد يكون اخطرها الاستيلاء عليها وسرقتها من طرف الاحتلال. لذلك عمل مركز الارشيف الوطني على انشاء ارشيف بديل بالاتفاق مع دولة عربية صديقة (تم التحفظ على اسمها) وذلك بتحويل الارشيف الفلسطيني الى قاعدة بيانات بديلة تحسباً لوقوع المخاطر او الطوارئ مستقبلاً.

إن الوثائق والأرصدة التي تمّ تجميعها والحصول عليها سواء الأصلية منها أو النسخ تمّت رقمتها وتصنيفها وفق موضوعاتها وترتيبها زمنياً لكن هذه المجموعات يعاني بعضها من مشكلة الحلقات الزمانية المفقودة بحكم شتات الأرشفة.

كما يدعم جهوده دولياً بإنتسابه الى عضوية المجلس الدولي للارشيف والفرع العربي منه، اضافة الى عضوية المدير العام للارشيف الفلسطيني في اللجنة التنفيذية المشكلة من طرف الجامعة العربية لاستعادة الارشيفات المنهوبة من الدول الاجنبية والدول المستعمرة. الامر الذي يساهم في اصفاء قانونية دولية لممارساته تجاه الارشيف الفلسطيني ودعم المطالب المشروعة في استعادة الوثائق والارصدة من الاحتلال أو الدول الاجنبية.

يشكّل انضمام مركز الأرشفة الوطني الفلسطيني إلى المكتبة الوطنية الفلسطينية وفقاً جديداً ومشروعاً واعداداً خاصة من ناحية وجود الدعم المادي وتوفير موازنة خاصة للأرشفة، الأمر الذي يُسهّل القيام بمهام الأرشفة الوطني إضافة إلى أنّ مبدأ الشراكة مع المكتبة الوطنية يساهم في توحيد الجهود المبذولة نحو الحفاظ على الموروث الثقافي وإيجاد المساحات المشتركة في ذلك. لكن وعلى الرغم من الجهود التي بذلت مسبقاً، فإننا نرى ان مسألة بناء الذاكرة الوطنية في مرحلة تأسيسية يجب أن تستمر استكمالاً لكلّ الجهود التي بذلت سابقاً واستمراراً لها بصيغة قانونية رسمية بحكم الشكل الحالي للدولة الفلسطينية الأكثر تنظيماً واستقراراً من السابق. وما يؤكد أن مشروع بناء الذاكرة في بداياته هو وجود الكثير من الوثائق والأرصدة التي لا يعرف عنها إلا أماكنها، فيمكن القول أنّها ذاكرة في حالة البناء وهو يسعى إلى إيجاد آلية للتعامل مع كمّ الأرصدة المعتبرة تلك، وإدماجها مع الأرصدة التي بحوزته وليس فقط معرفة كمها أو أماكن تواجدها بل معالجتها وتأمين مضامينها من أجل الاستفادة منها واستغلالها.

7. الاقتراحات

1. استرجاع الوثائق والأرصدة الفلسطينية المتواجدة في الأقطار العربية والدول الأجنبية مسألة هامة ذات أولوية قصوى من شأنها لملمة شتات الارصدة، من أجل إدماجها في بناء الذاكرة الوطنية الفلسطينية ويجب أن تتخذ وتباشر في تنفيذها في جدولة زمنية مبرمجة .
2. وضمان تواجد الأرصدة الفلسطينية المتواجدة في الخارج بأفضل الشروط ومتطلبات الحفظ واعتبار الدول الحائزة لها في الوقت الحالي بأنها أراضي محايدة تضمن سلامتها لغاية استرجاعها تجنباً لخطر الاستيلاء عليها من طرف الاحتلال الصهيوني خلال عملية تحويلها إلى مقرات حفظها أو بعد ذلك، و يمكن استرجاع النسخ من هذه الوثائق والأرصدة تحت رعاية أممية لغرض استخدامها في الغايات التي استرجعت من أجلها¹⁸ والتي أهمها تكوين الأرصدة وبناء الذاكرة الوطنية.
3. إعادة إحياء المشروعات البحثية بالتعاون المشترك بين مركز الارشيف الفلسطيني ومختلف الهيئات التعليمية ومراكز الدراسات لإزالة الغموض وحالة الرّكود للأرصدة والوثائق وإعادة تثمينها واستخدام محتوياتها ومضامينها كمادة أولية للكتابة التاريخية وفي حالات النزاع واثبات الحقوق واستردادها.
4. العمل على مشروع بوابة رقمية يستفيد منها كلّ الفلسطينيين سواء في الداخل أو في الشتات واسترجاع الوثائق بسهولة نظراً لتعقيدات التنقل المفروضة على الشعب الفلسطيني،¹⁹ من طرف مركز الارشيف الفلسطيني والهيئات التي لها صلة بالارشيف داخلياً وخارجياً، وإطلاق الخدمات الالكترونية واختيار أفضل البرمجيات التي تضمن سرية وأمن المعلومات وضمان عدم اختراقها.
5. القيام بدعم واسناد مركز الارشيف الوطني بجملة من القوانين والتشريعات من طرف الهيئات التشريعية، وتوفير الامكانيات اللازمة المادية والبشرية لاستكمال جهود بناء الذاكرة الوطنية وجعلها أولوية ومشروع وطني.

الخاتمة

إنّ بناء الذاكرة الوطنية الفلسطينية مسألة ضرورية تخدم القضية الفلسطينية التي لطالما تنوعت أساليب المواجهة فيها مع الاحتلال الصهيوني، ومركز الارشيف الوطني الفلسطيني يقوم بالدور المنوط به منذ لحظة إنشائه، ويعول على أدائه الكثير بذلت الكثير من المجهودات من طرفه للملّمة شتات الارصدة والمجموعات الارشيفية غرض الوصول الى بناء الذاكرة الوطنية لكن سياسة الاحتلال تسعى إلى مجابهة كلّ مشاريع التنمية والتطور في شتّى النواحي التي تخصّ الفلسطينيين والارشيف من باب أولى فيسعى الاحتلال إلى سياسة إجهاض كلّ محاولات النهوض بالقطاع من خلال سرقة ونهب وإغلاق المؤسسات²⁰ ومصادرة ممتلكاتها وتخریبها أثناء المdahمات والاجتياحات²¹ والتضييق على أنشطتها واعتقال رموزها الوطنية، وغيرها من الإجراءات التعسفية التي تبعد المساعي وتضيع الجهود المبذولة تجاه الوصول إلى بناء ذاكرة وطنية فلسطينية قادرة على مجابهة الاحتلال وتكذيب روايته المزعومة وتحرير الرواية

الرسمية الفلسطينية وتثبيت جذورهم وترسيخ هويتهم التي طالما سعى الاحتلال إلى طمسها وتحريفها.

إنّ مختلف الجهود والممارسات التي اتخذت من مختلف الهيئات الرسمية قد أخذت على عاتقها جمع كلّ ما يتعلق بالإرث الفلسطيني ومنعه من الزوال والضياع، لكن الأمر الذي يلاحظ أن جُلّ تلك الممارسات والجهود لم تر الثور أو تخللها البتر و الانقطاع نظراً للنكبات والمآسي التي عاشها الوطن وشعبه تبعاً، فالعامل الأهم في عملة بناء الذاكرة هو الاستقرار الذي لم يكن يوماً متوفراً لكن عملية استكمال الجهود بحاجة إلى المزيد من الدعم وتوفير الوعي الكافي بأهمية الأرشيف لدى أعلى السلطات السياسية وتبني مشروع بناء الذاكرة الفلسطينية كمشروع وطني بمشاركة وتعاون جميع الهيئات والمؤسسات فيها مع مركز الأرشيف الوطني الذي يعتبر ذاكرة الأمة.

قائمة المراجع

1. الإستراتيجية العربية الموحدة لاستعادة الأرشيفات العربية المنزوعة والمسلوقة والمنهوبة والمنقولة لدى الدول الأجنبية والاستعمارية. 2016. قطاع الإعلام والاتصال إدارة المعلومات والتوثيق والترجمة. جامعة الدول العربية. www.pnac.pna.ps
2. دور ورسالة الأرشيف الوطني منشورات الأرشيف الوطني.
3. عزيزة، نوفل. أرشيف فلسطيني متناثر ومسامح متواضعة من السلطة لاسترجاع-<https://www.al-monitor.com/ar/contents/articles/originals/2015/09/palestinian-plan-retrieve-archive-diaspora-inside.html#ixzz7Y5E5X2lx> تمت الزيارة يوم 2022/04/07
4. غالم، محمد، «Insaniyat»، «Memoire et Histoire»، Jacques LE GOFF، / إنسانيات [على الإنترنت]، 1998، تاريخ الاطلاع 11 juin 2022 URL : DOI : <https://doi.org/10.4000/insaniyat.11729>
5. فوز، سلامة. 2017. أثر الاحتلال الإسرائيلي على الموروث الثقافي الفلسطيني. تقرير مقدم لمجلس الوزراء الفلسطيني.
6. قانون الأرشيف الفلسطيني. 2010.
7. منشورات الأرشيف الوطني الفلسطيني. 2007. واقع العمل الأرشيفي في مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية.
8. منشورات الأرشيف الوطني الفلسطيني. 2010. الإطار الاستراتيجي للتوثيق والأرشيف في مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية.
9. نهلة، محمود زيادة، 2013. الأرشيف المضاد في التجربة الفلسطينية. رسالة ماجستير. جامعة بيرزيت
10. Rashid Hamid, «What Is the PLO?» Journal of Palestine Studies 4, no. 4 (1975).

الهوامش

- 1 نهلة، محمود زيادة. 2013. الأرشيف المضاد في التجربة الفلسطينية. رسالة ماجستير. 2013. جامعة بيرزيت. ص 4.
- 2 دور ورسالة الأرشيف الوطني منشورات الأرشيف الوطني. ص 1
- 3 محمد، غالم. LE GOFF، Jacques : Mémoire et Histoire. مجلة إنسانيات. متاح على الخط : <https://doi.org/10.4000/insaniyat.11729> . تاريخ الاطلاع 11 / 06 / 2022
- 4 محمد غالم. تقديم . مجلة إنسانيات متاح على الخط : <https://doi.org/10.4000/insaniyat.11579> تاريخ الاطلاع 11 / 06 / 2022
- 5 Rashid Hamid, «What Is the PLO?» Journal of Palestine Studies 4, no. 4 (1975), 94-95.

⁶ اتفاقيات اوسلو هو اتفاق سلام وقعته منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني في واشنطن، الولايات الأمريكية المتحدة، في 13 سبتمبر، 1993، وسمي الاتفاق نسبة إلى مدينة اوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرية التي أنتجت هذا الاتفاق. وتنص الاتفاقية على إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية (أصبحت تعرف فيما بعد بالسلطة الوطنية الفلسطينية)، ومجلس تشريعي منتخب للشعب الفلسطيني، في الضفة الغربية وقطاع غزة، لفترة انتقالية لا تتجاوز الخمس سنوات.

⁷ منشورات الأرشيف الوطني الفلسطيني. 2010. الإطار الاستراتيجي للتوثيق والأرشيف في مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية. ص39.

⁸ قانون الأرشيف الوطني الفلسطيني . 2010.

⁹ يمارس حاليا مركز الأرشيف الوطني مهامه وفق هيكل جديدة أدمج من خلالها مع المكتبة الوطنية الفلسطينية، وهو ما أخبرنا به المدير العام للأرشيف الوطني الأستاذ: **فواز سلامة**.

¹⁰ نهلة محمود زيادة. مرجع سابق. ص49

¹¹ دور ورسالة الأرشيف الوطني الفلسطيني. مرجع سابق. ص1

¹² قانون الأرشيف الفلسطيني. 2010. المادة 3.

¹³ منشورات الأرشيف الوطني الفلسطيني. 2007. واقع العمل الأرشيفي في مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية.

¹⁴ دور ورسالة الأرشيف الوطني الفلسطيني. مرجع سابق. ص67 .

¹⁵ دور ورسالة الأرشيف الوطني الفلسطيني. مرجع سابق. ص3.

¹⁶ يذكر بهذا الصدد أن فلسطين إحدى الدول الأعضاء في الفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف (عربيا) قد قامت ممثلة بالأرشيف الوطني الفلسطيني ومختلف دور ومراكز الأرشيف الوطنية العربية بصياغة وإصدار "الاستراتيجية العربية الموحدة لاستعادة الأرشيفات العربية المنزوعة والمسلوبة والمنهوبة والمنقولة لدى الدول الأجنبية والاستعمارية" التي تعتبر بمثابة ميثاق أرشيفي عربي يدعم الحق في استرجاع أصول المواد الأرشيفية العربية التي نهبت أو نزلت أو سلبت أثناء الفترات الاستعمارية، وذلك بالاحتكام إلى القواعد والقوانين الدولية ذات العلاقة وفي مقدمتها (اتفاقية لاهاي 1954) الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح، و(اتفاقية باريس 1970) الخاصة بالتدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة. وبالتعاون مع مختلف الهيئات الإقليمية والدولية التي تعنى بحفظ وحماية الأرشيف وصون الموروثات الثقافية .

¹⁷ يؤكد مدير عام الأرشيف الوطني الأستاذ فواز سلامة أن طاقم الأرشيف الفلسطيني أصبح قادرا على تكوين الأرشيفيين في الوزارات ومؤسسات الدولة وقد تلقى بهذا الصدد أزيد من 240 متدرب في الأرشيف من الوزارات ومراكز الأبحاث والجامعات في تكوين على ثلاث مراحل تدريبية.

¹⁸ يذكر بهذا الصدد أنه مؤخراً تم إعطاء العديد من النسخ المصدقة التي تخص عقود الملكية لازود من 30 منزل وقطعة أرض في حي الشيخ جراح في القدس من طرف الاردن وتركيا من اجل تقديمها كادلة على ملكية الأراضي والمنازل في هذا الحي والتي تدعي طائفة السفاردية اليهودية ملكيتها بتقديم وثيقة مزورة تثبت مزاعمهم بانها اشترت تلك الأراضي ما قبل عام 1948 تسعى من خلالها الى الاستحواذ على الاراضي والمنازل فيها. ان مثل هذه الوثائق تشكل خطرا لو استحوذ عليها الاحتلال الاسرائيلي او تم سلبها في حال ما حولت الى داخل فلسطين نظرا لانها تشكل الاصول وبزوالها تتفاقم مشكلة الفلسطينيين ومعاناتهم مع عدو يبرع في عملية الخداع والتزوير والتلفيق. للمزيد راجع قضية حي الشيخ جراح.

¹⁹ انطلق مشروع البوابة الرقمية للأرشيف الفلسطيني في جامعة بيرزيت المشروع سنة 2011 من معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، لتوثيق حياة الفلسطينيين (أفراد، وعائلات، ومؤسسات) منذ عهد الحكم العثماني وحتى يومنا هذا. وكان الأرشيف قد بدأ كمشروع بحثي دعمته كلية الدراسات العليا في الجامعة خلال السنتين الأوليتين، وحاليا يمتلك الأرشيف عشرات الآلاف من الوثائق، تم رفعها على الموقع الإلكتروني للأرشيف، والذي يتم تغذيته بشكل مستمر بكل ما هو جديد من الوثائق. علما بأن الموقع الإلكتروني بلغتيه العربية والإنجليزية، يستضيف ما يقارب الثلاثة آلاف زائر شهرياً، ويشكل مصدراً ممتازاً لكافة الأشخاص المهتمين، ومصدراً أساسياً للباحثين حول العالم.

²⁰ يذكر بهذا الصدد أن مجموع ما تم إغلاقه من مؤسسات فلسطينية منذ عام 1967 لغاية العام 2019 قدر بنحو 92 مؤسسة وهيئة فلسطينية قرارات الإغلاق طالت بعض المؤسسات أكثر من مرة؛ وتراوحت الفترات الزمنية لإغلاقها من ساعات إلى أيام أو أشهر أو سنوات، وفي أغلب الأحيان تعلق بشكل نهائي أو تجدد على التوالي، كما هو حال بيت الشرق، والغرفة التجارية، والمجلس الأعلى للسياحة، والمركز الفلسطيني للدراسات، ونادي الأسير، ومكتب الدراسات الاجتماعية والإحصائية، والتي يجدد إغلاقها من قبل وزير الأمن الداخلي بحكومة الاحتلال كل ستة أشهر، كان آخر تمديد لإغلاقها في 31 كانون الثاني 2019.

²¹ قام الأرشيف الوطني الفلسطيني بعمل مسح خاص بالأضرار للوثائق والسجلات لمؤسسات السلطة الفلسطينية أثناء الاجتياحات المتكررة للاحتلال الاسرائيلي الأمر الذي يستنتج منه أن مسألة محاولة إلحاق الأضرار بالمؤسسات والهيئات الفلسطينية يتم بشكل ممنهج ومدرّس بحيث تشير الإحصائيات إلى مصادرة الكثير من الوثائق الورقية والالكترونية والأشرطة السمعية والبصرية إضافة إلى تخريب واتلاف أجهزة الحواسيب والطابعات والفاكس ومختلف أنواع الأجهزة المتواجدة على مستوى المكاتب في مؤسسات ودوائر السلطة الفلسطينية.